سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ ﴾

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً: (قسم) بالرياح تذرو الرياح وتفرق التراب وغيره ذروا.

فَالْحَامِلاتِ وَقْراً: السحب تحمل الأمطار حملاً

فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً: السفن تجري على الماء جريا سهلاً.

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً: الملائكة تقسم المقدرات الربانية.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ: من البعث (جواب القسم) .

وَإِنَّ الدِّينَ: الجزاء بعد البعث.

ذَاتِ الْحُبُكِ: الطرق التي تسير فيها الكواكب.

قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ: متناقض فيما كلفتم الإيمان به.

يُؤْفَكُ عَنْهُ: يصرف عن الحق الآتي به الرسول.

تصور هذه الآيات عملية المطر أبدع تصوير ، فأولاً تهب الرياح عاصفةً فتحمل ، بعد مرورها بمراحل شتى ، السحب المثقلة بالماء ، ثم تسوقها سوقاً لتمطر رحمةً ونعمةً على قومٍ ، وتجلب نقمة وعذاباً على آخرين في شكل الكوارث والفيضانات .

obeikandl.com

وهذه الواقعة تدلنا على أن عالم الله هذا يسوده قانون "تقسيم الأمر" ، فالناس هنا يتفاوتون في حظوظهم من متاع الحياة والرزق ، حيث ينال بعضهم قليلاً وبعضهم الآخر كثيراً ، ومنهم مَنْ يُعطي بلا حساب ومنهم مَنْ يُسلب بعد العطاء وفي هذا إشارة لنا إلى مآل الإنسان الذي ينتظره في العالم الآتي بعد الموت ، فمبدأ "تقسيم الأمر" هذا سيُنفذ هناك في أتم الوجوه وأكملها ، فإنما ينال الكل هناك ما ينبغي أن يناله بمقتضى العدل دون زيادة أو نقصان ، ولن يناله ما لم يكن يستحق أن يناله بموجب العدل كذلك.

وفي السماء نجوم وكواكب لا يحصيها العد ؛ كلها تتحرك في مداراتها المقررة وفق نظام محكم للغاية ، ولئن استطعنا إلقاء نظرة شاملة عليها ، وبالتالي رسمنا لها صورةً في مجموعها ، إنها ستبدو لنا كالشبكة أو كزرد منسق متشابك ذي حلقات متداخلة بعضها في بعضٍ ، ومثل هذا النظام المدهش يوحي بانطوائه على قصد ومعنى عميقٍ ، والذين يستعملون عقولهم سيجدون فيه مادة الدرس والعبرة ، وأما الذين لا يستعملون عقولهم فهو عندهم رقصة عابثة فارغة عن أي درس أو عظة ذات بالٍ !!

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾

قُتِلَ الخَرَّاصُونَ: لعن وقبح الكذابون.

غَمْرَةٍ: جهالة غامرة بأمور الآخرة.

سَاهُونَ: غافلون عما أمروا به.

أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟: متى يوم الجزاء ؟ (إنكار له)

يُفْتَنُونَ: يحرقون ويعذبون.

يَهْجَعُونَ: ينامون.

وَبِالأَسْحَارِ: أواخر الليل.

وَالْمَحْرُومِ: الذي حرم الصدقة لتعففه عن السؤال مع حاجته.

إن ألزم ما يلزم المرء لتفهم أمرٍ من الأمور هو الجدية ، فالذين لا يأخذون أمراً ما بمأخذ الجد ، لا يعيرون القرائن والأدلة المصاحبة له أي اهتمام ، ومن ثم لا يستطيعون أن يفهموه بطبيعة الحال ، وهم يلجؤون بالتالي إلى الاستهزاء به إيهاماً للآخرين بأن هذا أمر بالغ السخافة، لدرجة لا يستحق معها أن يعتبر موضوع التأمل والتفكير الجدي!.

وأما أصحاب الجدية فحالهم على نقيضٍ من هذا تماماً ، فإن جديتهم تجعلهم يعيشون على حذر واحتياط دائم، وتنتزع من نفوسهم مزاج التعنت والطغيان وحساسيتهم المرهفة تجبرهم على القيام حتى في آناء الليل ، وهم يقضون أوقاتهم في ذكر الله وعبادته والتوجه إليه صباح مساء بطلب الرحمة والغفران ، وهم لا يعدون أموالهم نتاج كدهم وجهدهم الذاتي ، وإنما عطية من عطايا الله ، ولهذا السبب فإنهم يرون فيها حقاً لغيرهم أيضاً مثلما يرون فيها حقاً لأنفسهم !

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

لقد جعل الله عالمنا الراهن بحيث أصبح هذا العالم المعلوم بما فيه آية على العالم الآتي

المجهول ، فالوقائع المادية المبثوثة في جنبات الأرض والأحاسيس والمشاعر الكامنة في نفس الإنسان كلها تنبئنا سلفاً بالحدث الذي سوف يواجهه الإنسان مباشرةً بعد الموت .. ومن هذه الآيات ظاهرة النطق المشار إليها هنا.

وقد جاء في حديث عن شئون الآخرة أن النبي - ﷺ - قال : "إنما هي أعمالكم ترد عليكم" مما يعني أن عالم الآخرة لا يعدو أن يكون صنواً (Double) للعالم الحالي، ويتجلى لنا هذا الإمكان ، بصفة جزئية ، من خلال ظاهرة النطق البشري ، وذلك حين نسجل صوت شخصٍ ما في الشريط ، ثم نشغله في آلة التسجيل ، فإذا بنا نسمع صوت الشخص ذاته كما هو مرةً أخرى ، بينما الحقيقة أن صوت الشريط إنما هو صنو للصوت الأصلي، وهكذا يمكننا النطق على المستوى الجزئي المحدود من تجربة الواقع الذي سيظهر في الآخرة على المستوى الكلي اللامحدود .

وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ معناه أنه إذا كان تكرار نطقكم ممكناً فلم لا يمكن إذن تكرار وجودكم؟! وإذا كنا نشاهد تكرار جزءٍ واحدٍ من الكيان البشري في حياتنا الراهنة ذاتها ، فمن اليسير ، قياساً على ذلك ، أن نفهم إمكان وقوع التكرار والإعادة للكيان البشري بأكمله!!

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ: أضيافه من الملائكة.

قَوْمٌ مُّنكَرُونَ: قاله في نفسه لغرابتهم.

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ: ذهب إليهم في خفية من ضيفه.

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ: فأحس في نفسه لغرابتهم.

بِغُلامٍ عَلِيمٍ: هو هنا إسحاق عند الجمهور.

صَرَّةٍ: صيحة وضجة.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا: لطمته بيدها تعجبا.

تتحدث الآيات هنا عن قصة إبراهيم عليه السلام إذْ جاءته الملائكة تبشره بالولد وهو يومئذٍ قد تجاوز المائة سنة من عمره . لقد وُلد سيدنا إبراهيم في العراق القديم ، حيث ظل يدعو قومه إلى التوحيد والآخرة زمناً طويلاً ، ولكن لم يكد يستجب لدعوته من قومه سوى زوجته وابن أخيه ، إلى أن بلغ عليه السلام سن الشيخوخة.

والآن ، لم يعد للإبقاء على تسلسل رسالته واستمراريتها غير شكل واحدٍ ، هو أن يولد له ولد ، فيقوم على تربيته وإعداده لهذا الغرض ، والعلاقة بين الأب وولده تقوم على أساس الدم ، مما يكسبها قوة إضافية من شأنها أن تربط الولد بأبيه برباط متين لا ينفصم على اختلاف الأحوال والظروف ، كما تجعله بالأحرى مناصراً متحمساً لأفكاره وآرائه ، يسره أن تنتشر بين الناس وتنتقل إلى الأجيال القادمة . ولقد وهب الله لإبراهيم في آخر حياته ولدين اثنين : أولهما: إسماعيل الذي تم استخدامه كالنواة لجيل فريد من البشر يتربى في أحضان الصحراء ، وثانيهما : إسحاق الذي بواسطته قام تسلسل دعوة التوحيد في بني إسرائيل .. ثم يقف في النهاية إلى جانب نبي آخر الزمان ويتعاون معه على تكميل رسالته التاريخية !!.

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾

فَمَا خَطْبُكُمْ ؟: فما شأنكم الخطير ؟

مُسَوَّمَةً: معلمة بأنها حجارة عذاب.

كان إبراهيم عليه السلام حينذاك في فلسطين ، وعلى مقربةٍ منها كانت قريتا سدوم وعامورة - مساكن قوم لوط - بجنوبي البحر الميت ، ورغم بقاء لوط عليه السلام بين أولئك القوم مدة طويلة من الزمان يدعوهم إلى الحق وينذرهم - إن لم يؤمنوا به - ببأس الله ، إلا أنهم لم يرضوا بنبذ حياتهم المنحرفة الغافلة عن الله ، فخرج لوط وأصحابه من بينهم إلى حيث أمرهم الله ، فلم يلبث الملائكة الذين سبق ذكرهم آنفاً أن أهلكوا القوم عن بكرة أبيهم بالرجفة والعواصف وبوابل من الحجارة المعلَّمة لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى . لقد اندثر قوم لوط منذ ألفي سنة مضت ، غير أن مساكنهم الخربة - بالمنطقة الواقعة جنوبي البحر الميت - ما زالت إلى يومنا هذا تلقن الدرس والعبرة لمن يتوافر لديهم مزاج التذكر والاعتبار بالأحداث والوقائع !!

﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن

قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

وَفِي مُوسَى: وجعلنا في قصة موسى آية.

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ: فأعرض فرعون بقوته وسلطانه عن الإيمان .

وَهُوَ مُلِيمٌ: آت بما يلام عليه.

الرِّيحَ العَقِيمَ: المهلكة لهم القاطعة لنسلهم.

كَالرَّمِيمِ: كالشيء البالي المفتت الهالك.

فَعَتَوْا: فاستكبروا.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ: فأهلكتهم صيحة أو نار من السماء.

اعتبر فرعون ما جاء به نبي الله موسى من الخوارق والمعجزات سحراً ، كما عبر عن يقينه الذي كان يشهد بكونه على الحق بأنه جنون ! وهذا هو التلبيس عينه. والتلبيس هو الملجأ الدائم للذين لا يستعدون للإيمان بالحق رغم تضافر الأدلة والبراهين على إحقاقه .

ولا ينفلت الطغاة والمتعنتون إزاء الحق كهؤلاء من بطش الله أبداً ، فقد أغرق فرعون وجنوده بناء على هذا ، كما حل بقوم عاد وقوم ثمود وقوم نوح ما حل من العذاب والدمار للسبب نفسه، وليس لأمثال هؤلاء في دنيا الله هذه من متاع سوى هذا المتاع القليل المقدور لهم لحكمة الامتحان إلى أجل محدودٍ !

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ: بقوة وقدرة.

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ: لقادرون.

وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا: مهدناها وبسطناها كالفراش للاستقرار عليها.

فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ: المسوون المصلحون.

خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ: صنفين ونوعين مختلفين.

فَفِرُّوا إِلَى اللهِ: فاهربوا من عقابه إلى ثوابه.

﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هذه الفقرة الواردة هنا في سياق الحديث عن خلق السماء ربما تتضمن الإشارة إلى طبيعة الكون تلك التي لم يتم اكتشافها إلا في مطالع القرن العشرين ، وأعني بذلك تمدّد الكون واتساعه بالتسلسل الدائم في كل الاتجاهات، وتمدّد الكون على هذا النحو دليل على أنه لم يُخلق من تلقاء نفسه وإنما خلقه خالق ، إذْ أن هذا التمدّد يعني أنه كان في بدايته " منكمشاً " ، فبموجب القوانين المادية المعروفة كانت كل الأجزاء التركيبية لكتلة الكون البدائية هذه مركزةً ومجتمعةً بعضها مع بعضٍ بشدة ، وفي هذه الحالة فإن أخذها في الاتساع نحو الفضاء الخارجي وتباعد الأجرام بعضها عن بعض بسرعات هائلةٍ لا يتصور بدون تدخل من "الخارج" .. وإيماناً بهذا التدخل الخارجي يستلزم الإيمان بالله بالضرورة .

إن نظام كوننا هذا نظام ينطوي على حكمة بالغةٍ ومعنى عميق ، مما يثبت أن العالم الراهن أُنشئ لغاية سامية ، ولكنا نرى الإنسان قد ملأ الأرض شراً وفساداً ، وشأن هذا الواقع العبثي اللامعقول بالنسبة إلى هذا الكون الهادف المعقول كشأن النغمة النشاز في اللحن المتناسق ! وهذا الوضع يقضي بظهور عالم يخلو من كل ألوان الشر والفساد.

ومرة أخرى نلتقي هنا بظاهرة من ظواهر الكون الحالي تتولى الإجابة عن هذا السؤال، وهي كون الأشياء هنا زوجين زوجين ، فالذرة - وإليها يرجع بناء الكون كله - مؤلفة من زوج من الكهرباء : موجب وسالب ، وينقسم النبات بدوره إلى ذكر وأنثى تماماً كما هو حالنا نحن البشر ؛ مما يدلنا على قاعدة تسري في هذه الوجود ، وهذا أن كل شيء يتلاقى في نقصه ويستكمل ذاته عبر الانضمام إلى زوجه، وتلك قرينة تبرهن على إمكان وقوع الآخرة . فكأن عالم الآخرة هو زوج عالمنا الراهن بحيث لا يكتمل هذا الأخير إلا بالانضمام إلى الأول !!

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

طَاغُونَ: متجاوزون الحد في الكفر.

من شأن الرجل الجاد إذا طالب بإقامة الدليل على أمرٍ ما ، أن يؤمن به فور ظهور الدليل المطلوب، وأما الذين مزاجهم التعنت والعناد فلا يمكن إقناعهم أو إسكات ألسنتهم بأي دليلٍ ، حيث إنهم سيجدون لرفض كل دليل تأتي به بعض الألفاظ الجديدة ، حتى إنك لو أتيت بدليلٍ لا سبيل إلى دحضه منطقياً لأعرضوا عنه قائلين : إن هذا سحر!!. وينبغي للداعي ألا يقع فريسة اليأس إذا أنكر هؤلاء دعوة الحق، فإنه سوف يجد أنصاره بين آخرين عداهم ليسوا مصابين بعقدة الشعور بالكبرياء الكاذبة!.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى

يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

لِيَعْبُدُونِ: ليعرفوني أو ليخضعوا لي ويتذللوا.

ذَنُوباً: نصيبا من العذاب.

إن الهدف الوحيد وراء خلق الإنس والجن هو عبادة الله ، ومعنى العبادة أن نخضع أنفسنا بين يدي الله، ونعود عابدين له تعالى بأتم معاني الكلمة ، وجوهر العبادة هو المعرفة ، ومن ثم شرح ابن جريج قوله : ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ بعبارة : "إلا ليعرفون"، كما حكي عنه ابن كثير في تفسيره . يعني أن المطلوب من الإنسان أن يدرك الله على وجه الاكتشاف ، ويتعرف على الله من غير أن يراه رأي العين ، وهذا ما يسمى المعرفة ، والحياة التي تظهر باعتبارها نتيجة تلقائية لهذه المعرفة هي التي يقال لها العبادة والعبودية .

إن الدلو حين يمتلئ فلا يلبث أن ينغمر في الماء ، وهكذا لا يكاد المرء يستكمل فرصة العمل المتاحة له على هذه الأرض حتى يبتلعه الموت ، فمن أصلح نفسه قبل "امتلاء الدلو" نجا وأفلح ، وأما من ظل غافلاً حتى اللحظة الأخيرة الحاسمة فقد خاب وهلك . ولا يظن الظالمون إذا كانوا لا يتعرضون للمؤاخذة أنهم قد أهملوا ولن يؤاخذوا .. ! وإنما تُركوا أحراراً يتصرفون كما شاؤوا؛ لأن سنة الله قد جرت بعدم التعجيل بالمؤاخذة ، لا لأن الله غير مؤاخذهم .